

# مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

## Orthodox Archdiocese of Beirut

في زمن أليشع النبي (٢ ملوك ٤: ٤٢-٤٤).  
(٤٤).

يلاحظ القارئ ان هذه المعجزات الثلاث تلتقي عند عناصر ثلاثة: الشعب يفقد الأمل من إمكانية تأمين الأكل، عندئذ يرسل له الله الخبز، ويفضل عنه بعد أن ينتهي من الأكل. اعتقد الإنسان منذ البدء انه هو مصدر حياته ويمكنه بالتالي الاستغناء عن خالقه، لما له من سلطة على الخليقة، بحسب اعتقاده. ولكنه في كل مرة كان يفشل، وأكبر فشل كان موته، ونسي ان مصدر حياته ومصدر سلطته هو الله نفسه الذي خلقه على صورته ومثاله (تكوين ١).

حاول الله أن يفهم الإنسان انه بدونه لا يستطيع أن يحيا، وهو يحاول حتى يومنا هذا، ولكن دون جدوى. هذا ما دفع الله كل مرة إلى عزل الإنسان عما يعتقد انه يؤمن له الحياة؛ ففي عهد موسى أجاز شعبه في البرية، في الصحراء، حيث لا إمكانية للحياة. وفي زمن أليشع النبي أرسل جوعاً على الأرض، وفي زمن الرب يسوع كان مساءً ولم يكن ممكناً تأمين الطعام للجموع. عندئذ فقط، أي عندما يدرك الإنسان انه فاقد الأمل من الحياة من تلقاء نفسه، يرسل الله له الخبز، أو يكثر ما هو بين يديه.

## حول الإنجيل

معجزة تكثير الخبزات الخمس والسمكتين هي من الحوادث القليلة في العهد الجديد التي يشترك الإنجيليون الأربعة في سردها، وما هذا إلا دليل على أهميتها في وجدان الكنيسة الأولى. وقد وضعت الكنيسة خدمة ليتورجية تتعلق بهذه المعجزة، هي خدمة الخبزات الخمس، والتي ما زالت تمارسها حتى يومنا هذا.

يلفتنا في هذا المقطع الإنجيلي أمران: البعد الوجودي المتعلق بالخبز وأهميته في حياتنا، والبعد الإفخارستي. يتوجه متى في إنجيله إلى جماعة مسيحية

من أصل يهودي تعرف جيداً الكتاب المقدس، أي العهد القديم (لم يكن العهد الجديد قد جمع بعد، لذلك عندما نأتي على ذكر الكتاب المقدس أو الكتب المقدسة في العهد الجديد نعني ما يُعرف اليوم بالعهد القديم). لذلك عندما يسرد متى على مسامع جماعته معجزة تكثير الخبزات والسمكتين ترن في آذانهم معجزتان حدثتا في العهد القديم: معجزة المن الذي أرسله الله لشعبه في البرية على عهد موسى (خروج ١٦: ١٣-١٦) ومعجزة تكثير الخبز

## الرسالة

(غلاطية ٤: ٢٢-٢٧)

يا إخوة إنّه كان لإبراهيم ابنان أحدهما من الجارية والآخر من الحرّة\* غير أنّ الذي من الجارية وُلد بحسب الجسد أمّا الذي من الحرّة فبالموعد\* وذلك إنّما هو رمز لأنّ هاتين هما العهدان أحدهما من طور سيناء يلد للعبوديّة وهو هاجر\* فإنّ هاجر بل طور سيناء جبل في ديار العرب ويناسب أورشليم الحاليّة. لأنّ هذه حاصلة في العبوديّة مع أولادها\* أمّا أورشليم العليا فهي حرّة وهي أمنا كلنا\* لأنّه كتب أفرحي أيتها العاقرة التي لم تلد. إهتفي واصرخي أيتها التي لم تتمخض لأن أولاد المهجورة أكثر من أولاد ذات الرّجل.

## الإنجيل

(متى ١٤: ١٤-٢٢)

في ذلك الزمان أبصر يسوع جمعاً كثيراً فتحنّن عليهم وأبرأ مرضاهم\* ولمّا كان المساء دنا إليه تلاميذه وقالوا إنّ المكان قفر، والساعة قد فاتت فأصرّف

العدد ٣٠/٢٠٠٤

الأحد ٢٥ تموز

رقاد القديسة حنة

أم والدة الإله

اللحن السابع

إنجيل السحر الثامن

الجموع ليذهبوا إلى القرى وابتاعوا لهم طعاماً فقال لهم يسوع لا حاجة لهم إلى الذهاب أعطوهم أنتم ليأكلوا فقالوا له ما عندنا ههنا إلا خمسة أرغفة وسمكتان فقال لهم هلم بها إلي إلى ههنا وأمر بجلوس الجموع على العشب. ثم أخذ الخمسة الأرغفة والسمكتين ونظر إلى السماء وبارك وكسر وأعطى الأرغفة لتلاميذه والتلاميذ للجموع فأكلوا جميعهم وشبعوا ورفعوا ما فضل من الكسر اثنتي عشرة قفة مملوءة وكان الأكلون خمسة آلاف رجل سوى النساء والصبيان ولوقت اضطر يسوع لتلاميذه أن يدخلوا السفينة ويسبقوه إلى العبر حتى يصرف الجموع.

## تأمل

... ونتعلم شيئاً آخر من عجيبة تكتير الخبزات وهو عدم اهتمام التلاميذ بالطعام. رغم عددهم لم يكن لديهم إلا خمسة أرغفة وسمكتان مما يدل على عدم اهتمامهم بالأشياء الجسدية بل على اهتمامهم بالأمر الروحية. ومع هذا لم يتمسكوا بما كان لديهم بل أعطوه عند الطلب. من ذلك نتعلم أنه حتى وإن ملكنا قليلاً علينا أن نعطي ما عندنا للذين هم بحاجة.

وهذه هي تجربة الإنسان العظمى: «هل يقدر الله أن يرتب مائدة في البرية؟... هل يقدر أيضاً أن يعطي خبزاً أو يهيء لحماً لشعبه؟ لذلك سمع الرب فغضب واشتعلت نار في يعقوب وسخط أيضاً صعد على إسرائيل، لأنهم لم يؤمنوا بالله ولم يتكلموا على خلاصه، فأمر السحاب من فوق وفتح مصاريع السموات، وأمطر عليهم ممناً للأكل وحنطة السماء أعطاهم. أكل الإنسان خبز الملائكة أرسل عليهم زاداً للشبع» (مز ٧٨: ١٩-٢٥).

البعد الآخر لهذه المعجزة هو البعد الافخارستي. إنها صورة عن العشاء الافخارستي. فالشعب يتكى حول يسوع كما التلاميذ في العشاء وتصرف يسوع في الحادثتين واحد: «بارك وكسر وأعطى التلاميذ» (متى ٢٦: ٢٦؛ راجع متى ١٩: ١٤).

هذا ما يحصل في حياة الكنيسة إلى اليوم في القداس الإلهي، الذي هو العشاء الافخارستي نفسه. فالرب يسوع يعطي نفسه للكنيسة: «لأنك أنت المقرب والمقرب» (من خدمة قداس القديس يوحنا الذهبي الفم) والكنيسة يعطون المؤمنين ليتناولوا جسد الرب ودمه: «ثم أخذ الخمسة الأرغفة والسمكتين ونظر إلى السماء وبارك وكسر وأعطى الأرغفة لتلاميذه والتلاميذ للجموع» (متى ١٩: ١٤).

هذا البعد الافخارستي يرفعنا إلى مستوى أرفع مما نعتقده طعاماً مادياً، خبزاً نأكله حتى نستطيع أن نتابع حياتنا. ما نحن بحاجة إليه هو الخبز الذي يعطينا إياه الرب من السماء، الذي هو كلمته وجسده المحييان، إذ إنه «ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله» (متى ٤: ٤). «جميع الوصايا التي أنا أوصيكم بها اليوم تحفظون ليعملوها لكي تحيوا وتكثروا وتدخلوا وتمتلكوا الأرض التي أقسم الرب لأبائكم، وتذكروا كل الطريق التي فيها سار بك الرب إلهك هذه

الأربعين سنة في القفر لكي يدلك ويجربك ليعرف ما في قلبك أتحمض وصاياها أم لا. فأذلك وأجعاك وأطعمك المن الذي لم تكن تعرفه ولا عرفه أبائك لكي يعلمك أنه ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل ما يخرج من فم الرب يحيا الإنسان» (تثنية ٨: ١-٣).

«أنا هو الخبز الحي الذي نزل من السماء. إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد. والخبز الذي أنا أعطي هو جسدي الذي أبذله من أجل حياة العالم» (يو ٦: ٥١).

## مدارس الأبرشية

برعاية سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس أقيم مساء الثلاثاء ١٣ تموز في رحاب مدرسة البشارة الأرثوذكسية حفل تخريج ١٤٨ طالباً وطالبة من مدارس الأبرشية الثانوية: زهرة الاحسان والسيدة الأرثوذكسية ومار الياس بطينا. ضيف الاحتفال كان د. وليد غلميه الذي ألقى كلمة جاء فيها:

«... العظيم، كما هو لوطنه هو أيضاً للإنسانية جمعاء، وسنبقى نصر على أن لبنان إنساني الحضور والوجود وكلما تخلى عن دوره هذا صغر وتلاشى واندرش.

العظماء هم الذين طعموا الإنسان في مجتمعنا بنبت بشري يثمر كما تطعم الشجرة بنبت يثمر.

العظماء هم الأصليون المنفتحون المعطاءون غير المقلدين الذين يرون الإنسانية في كل إنسان كما يرون بأن الإنسان ما هو إلا نبض إنساني. العظماء هم الذين يشحنون الحياة بنور المعرفة، وهم الذين يعلموننا بأن كل فرد منا هو العالم كله ليستوي في كل منا القول: وتزعم أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر.

العظماء هم الذين إذا قرأتهم أو سمعتهم أو أدركت معارفهم يرتقون

عندما طلب منهم أن يأتوا بالأرغفة الخمسة لم يقولوا ماذا سنأكل؟ كيف نسد جوعنا؟ بل أطاعوا للحال. وإلى جانب كل ذلك أنا أعتقد ان الطعام المتوفر لديهم استخدم لكي يقود التلاميذ إلى الإيمان لأن إيمانهم كان بعد ضعيفاً. لذلك يرفع السيد نظره إلى السماء لأنهم قد رأوا نماذج كثيرة عن العجائب السابقة. أما هذه فلم يروا مثلها قط. بعد أن أخذ الرب الخبزات، كسرها إلى أجزاء وأعطاهما للجموع عن طريق التلاميذ مكرماً إياهم بهذه الطريقة. ولم يفعل ذلك فقط من أجل تكريمهم بل لكي لا يظهروا فيما بعد عديمي الإيمان حتى لا ينسوا مثل هذا الحدث على مر الزمن كونهم صاروا شهوداً بأيديهم للمعجزة. لذلك يترك أولاً الجموع تجوع ثم يأتي التلاميذ ليسألوه وبعدها عن طريقهم يجلس الجموع ويوزع لهم أجزاء الخبز والسمك. لأنه كان يريد أن يؤكد على اعتراف كل واحد وعلى أعماله. لذلك أخذ الأرغفة من التلاميذ حتى يكون لهم أدلة كثيرة تذكرهم فيما بعد بالعجيبة. لأنه بالرغم من كل ما جرى نسوا الحدث فكم بالأحرى سيكون إن لم يبق بكل هذه الإجراءات؟ يأمر الجموع أن يتكثروا على العشب لكي

بك لتصبح قريباً من الله.

العظماء هم عائلة الله على الأرض، بل عائلة الله في الطبيعة، من أجل ذلك، ليس من شر في الطبيعة. كل من أدرك عظيماً هو أيضاً عظيم.

كونوا أيها المتخرجون: عظماء، ففي كل منكم العالم الأكبر. وأي شر يحدث يأتي من الذين لم يدركوا عظيماً لا فهماً ولا سمعاً ولا معرفة. أما سيادته فقد خاطب الحضور بالكلمة التالية:

«أبنائي الطلاب، بناتي الطالبات، فيما أنتم تودعون مرحلة الدراسة الثانوية لتنطلقوا إلى فضاء الجامعة الأرحب عندي لكم بعض الثوابت، أريدها لكم زادا في مستقبلكم الذي أرجوه زاهراً مثمراً.

حافظوا على أنفسكم وعلى وطنكم وعلى حرييتكم والكرامة. تمسكوا بالقيم التي رباكم عليها ذوكم ثم مدرستكم والمعلمون، لأن الإنسان الذي لا يعي قيمة ذاته لا يمكن أن يكون مواطناً صالحاً وعنصراً فعالاً في مجتمعه. كذلك الإنسان الذي يستهين بنفسه لا يمكن أن يحترم الإنسان الآخر ويقدر طاقاته. احترام إنسانية الإنسان يبدأ بالنفس ويتجه نحو السوى. وهو يستلزم تقييداً بالمبادئ والقيم الاجتماعية التي تحكم علاقة البشر منذ غابر العصور. فمن لا يحترم حرية الآخر، ومن لا يهتم لكرامة الغير، ومن لا يقيم وزناً للأعراف التي تسيّر المجتمع، ومن لا يعتمد الصدق والأمانة والنزاهة في علاقته مع غيره، ومن يضمّر الحقد والحسد والكراهة والنميمة وغيرها من الآفات المفسدة للنفس، إنسان غير جدير بالحياة التي شاءها له الله بين أتراكه. كذلك من لا يحترم القوانين ومن ينتهك الحرمات ومن يضرب عرض الحائط تعاليم الدين والأخلاق ويتخذ الفساد مبدأ والرذيلة نبراساً هو غير جدير بالمواطنة التي يقدمها له وطنه.

قد تقولون إن هذه أبسط المبادئ التي يتربى عليها الإنسان، وإنها من البديهيات والمسلّمات، أما أنا فأقول لكم إن وطنكم لم يصل إلى ما وصل إليه لو كان كل مواطن يسير بهدي هذه المبادئ والمسلّمات. لو كان كل فرد في هذا المجتمع يحترم نفسه وغيره لما استهان أحدٌ بمال غيره وخصوصاً بمال الدولة الذي هو ملكٌ لكل المواطنين، ولما عمّ الفساد الذي نشهده، ولما سمعنا عن استسهال ارتكاب المخالفات وهدر المال العام وعقد الصفقات المشبوهة، وعن الفضائح التي لا نعلم كيف تطل وكيف تلتفّ، وعن المملّفات التي لا نعلم كيف تفتح وكيف تطفأ. لو كان كل فرد يحترم وطنه لما كنا نشهد بشراً يتسابقون للإنتماء إلى غير وطنهم إن بالموقف أو الهوية، ولما كنا نسمع أبناءً لهذا الوطن يفاخرون بكونهم أبناءً لوطن آخر أو لرئيس آخر غير رئيسهم. لو كان كل فرد يحترم ربّه ويؤمن به لما كانت أعيننا تخجل مما ترى وأذاننا تستاء مما تسمع. لذا أدعوكم إلى أن تكونوا مواطنين حقيقيين، مواطنين بكل ما لهذه الكلمة من معنى، أمناءً لله خالقيكم وللبنان الوطن الذي تتنشقون هواءه وتشربون ماءه وتستظلون سماءه وتعيون من خيرات طبيعته. لا تسمعوا الأصوات الشاذة التي تدعوكم إلى الهجرة ولا تعيروا أذناً للدعوات التي تحثكم على الأمانة لوطن غير وطنكم أو تفضيله على وطنكم. فمن لا يحب وطنه وليس أميناً له لا يستطيع أن يحب وطناً آخر وأن يكون أميناً له.

أوصيكم أن تحترموا الإنسان وحقوقه وأن تحافظوا على البيئة وأن لا تسيئوا إلى الطبيعة. لا تشتموا أو تهينوا أحداً، لا تؤذوا حيواناً أو طيراً، لا تقطعوا شجرة، لا ترموا أقداركم على الطرقات ومن نوافذ السيارات، لا تتعدوا على البحر

يَعْلَمُهُمْ أَنْ يُوَاجَهُوا الْحَالَاتِ الصَّعْبَةَ بِصَبْرٍ. لِأَنَّهُ كَانَ يَرِيدُ أَنْ يَغْذِيَ لَا أَجْسَادَهُمْ فَقَطْ بَلْ وَأَنْفُسَهُمْ.

من المكان الذي وُجِدُوا فيه، من الاكتفاء بالخبز والسّمك، من توزيع الطعام بالتساوي على الجميع، من خلال كل ذلك يَعْلَمُهُمْ التواضع، الإمساك، المحبة، إظهار الاهتمام نفسه للجميع، اعتبار كل شيء مشتركاً. كَسَّرَ الخبزات الخمس فتكاثرت الأجزاء في أيدي التلاميذ. ولم يكتفِ بذلك العجب بل جعل يفضل عن الخبز كسراً لكي يظهر أن هذه الكسر ما هي إلا فضلات الخبزات الكثيرة حتى يتأكد الكلّ من المعجزة. لقد ترك الجموع تجوع حتى لا يعتقد أحد أن العمل كان خيالاً. جعل يفضل اثنا عشرة قفة حتى يتناول يهوداً واحدة منها. كان يمكن له أن يزيل جوع اليهود لكن في هذه الحالة لن يعود التلاميذ يكتشفوا قدرته على العمل الذي حصل أيضاً مع إيليا. لقد اندهش اليهود من الحدث إلى حدّ أنهم أرادوا أن يعلنوه ملكاً، الشيء الذي لم يفعلوه في العجائب الأخرى.

القديس يوحنا الذهبي الفم

وثرواته، لا تتهاونوا بكل ما يحيط بكم لأن الله شاء الإنسان الآخر أخاً لكم ورفيقاً محبوباً، والطبيعة بكل ما فيها ملاذاً لكم أميناً، فلا تكفروا بعبايا الله ونعمه بل احمده في كل حين واستلهموا تعاليمه.

الأوطان تبنى بأخلاق أبنائها، وقلّة الأخلاق هدامةً للنفس والمجتمع والوطن، فلا تكونوا من الهدّامين بل كونوا بناءً لأنفسكم ولمجتمعكم ولوطنكم المنهك. استعملوا عصارة أفكاركم للخير وانبذوا كلّ شرّ ورذيلة. كونوا أبناء النور وليشع نوركم على من حولكم ليعرفوا أنكم أبناء أبيكم السماوي. بارككم وأنا دريكم».

## الترتيل

«مكمّلين بعضكم بعضاً بمزامير، وتسابيح، وأغاني روحية، مترنمين ومرتلين في قلوبكم للرب» (أفسس ١٩:٥).

كيف يجب أن نفسر هذه الكلمات؟ هل تعني أنه عندما تكون ممتلئاً من الروح القدس فإنه عليك حينئذ أن تترنم بفمك وقلبك؟ أو أنك إذا رغبت أن تمتلئ من الروح القدس فعليك أن ترنم أولاً؟

لا يقع انسكاب الروح القدس ضمن قدرتنا. إنه يأتي عندما يريد الروح نفسه. وعندما يأتي هذا الانسكاب فإنه سينعش قوى روحنا بشكل كبير، بحيث يندلع الترنيم لله من ذاته. تقع حرية الاختيار فقط بين ترك ترنيم هذه الترنيم في القلب وحده، أو التعبير عنه بصوت عالٍ حتى يسمع الجميع.

ويجب أن تؤخذ كلمات الرسول بالمعنى الثاني أكثر من المعنى الأول. إرغياً أن تكون ممتلئاً من الروح، وترنم على هذه النية في الذهن. فالترنيم سيضرم الروح القدس، أو يؤدي إلى حالة من

الإنسكاب بالروح، أو يُظهر عمله. وحسب المغبوط ثيودوريتوس، يشير الرسول إلى النشوة الروحية عندما يقول: «إمتلئوا بالروح» (أف ٥:١٨)، ويرينا كيفية الحصول على ذلك، أي ترنيم التسابيح بلا انقطاع إلى الله، ودخول المرء إلى ذاته بعمق، ومحرّضاً الفكر دائماً. أي: بالترنيم باللسان والقلب.

ليس صعباً أن نفهم أن الجزء الأهم من هذا ليس الإيقاع الجيد في الترنيم، إنما محتوى ما يرنم. إن له نفس التأثير الذي يحدثه كلام مكتوب بشعور حار والذي يحيي من يقرأه. إن الشعور، الذي تعبّر عنه الكلمات، تحمله الكلمات إلى نفس الذين يسمعونها أو يقرأونها. ويمكن أن يُقال نفس الشيء عن ترانيم الكنيسة. فالمزامير والتراتيل وترانيم الكنيسة هي ثروات مَهْمَةٌ روحياً من الشعور نحو الله. لقد ملأ روح الله مختاربه، وعبروا هم عن وفرة مشاعرهم بالترانيم. فالذي يرنمها كما يجب أن ترنم يدخل ثانية إلى المشاعر التي اختبرها المؤلف عندما كتبها أصلاً. وبامتلائه من هذه المشاعر، يقترب من الحالة التي يصبح فيها قادراً على نيل نعمة الروح، وعلى تكييف نفسه وفقها.

إن هدف ترانيم الكنيسة هو بالضبط جعل شرارة النعمة المختبئة فينا تشتعل بصورة أسطع وأكثر دفءاً. والأسرار تعطي هذه الشرارة. فالتراتيل والمزامير والتسابيح الروحية قد وُضعت كي تضرم الشرارة وتحولها إلى لهيب. إنها تعمل في شرارة النعمة كما يعمل الروح في شرارة مختبئة في الحطب.

القديس ثيوفانس الحببيس

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعياً على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb